



رمضان شهر الصبر والانتصارات

خطب الجمعة

2019-05-24

عمان

مسجد زياد العساف

الخطبة الأولى :

يا ربنا لك الحمد ولاء السماوات والأرض، ولاء ما بينهما، ولاء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عنتى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نُضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك؟ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً، عباد الله اتقوا الله فيما أمر وانهوا عما نهى ورجز، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ).

رمضان شهر الصبر :

أيها الكرام؛ وما زلنا نتقياً أجواء شهر رمضان المبارك، وما زلنا نتقياً أجواء شهر الانتصارات، وشهر البطولات، وشهر التضحيات، وشهر المعارك والغزوات. أيها الكرام؛ في شهر رمضان كانت غزوة بدر الكبرى التي سماها ربنا جلّ جلاله يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، وفي شهر رمضان كان فتح مكة، يوم المرحمة الذي فتح فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة من غير أن تسيل نقطة دم واحدة، فكان يوم المرحمة، وبينهما بين بدر ومكة، كانت غزوات ومعارك وانتصارات، يجمعها عنوان واحد هو عنوان النصر مع الصبر. أيها الأخوة الكرام؛ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة، الإيمان عناوين كثيرة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدرة، الإيمان أن تمد يد العون، الإيمان أن تقوم بالليل، الإيمان بالإيمان، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لخص الإيمان في هذا الحديث الشريف بقوله:

{ أَفْضَلُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ وَالسَّمَاخَةُ وَالْحُلُقُ }

[رواه البخاري]



الإيمان صبر وشكر

وقد نعلم جميعاً أن الإيمان نصفان: صبرٌ وشكر، لأن الإنسان في حياته إما أن يريد شيئاً فلا يستطيع أن يحققه فيصبر، أو يريد شيئاً فيحققه فيشكر، فنحن جميعاً بين صبرٍ وشكر، ما لناه نشكر الله عليه، وما زواه عنا لحكمة بالغة جلّ جلاله نصبر على فراقه وتركه، وهذه هي الحياة، نحن قبل الإفطار نصبر على الجوع والعطش، وعند الإفطار نشكر على نعمة الطعام والشراب، فالإيمان صبر وشكر، ورمضان صبر وشكر، الشاب قبل أن يأذن الله له بالزواج، وييسر له أسباب الزواج يصبر فلا يقع في المعصية، يصبر فيغض بصره عن المحارم، يصبر فلا يذهب إلى أماكن لا ترضي الله عز وجل، ثم يرزقه الله زوجةً صالحةً فيشكر الله على نعمة الزواج، الفقير يصبر على ترك المال، وبصبر على الفقر، ثم يكرمه الله بمال أو بعض من مال فيشكر الله على نعمة المال، فحياتنا جميعاً بين صبرٍ وشكر، فنحن في الحالتين مع الله صابرين وشاكرين.

أيها الكرام؛ لذلك قالوا: رمضان شهر الصبر، لأننا نصبر فيه فترةً يومياً لمدة ثلاثين يوماً على الجوع والعطش وباقي الشهوات، نصبر من أجل الله، نصبر مرضاةً لله.

أنواع الصبر :

أيها الكرام؛ وقد قيل: الصبر ثلاثة أنواع؛ صبرٌ على الطاعة كما نفعل في رمضان، كما نفعل في الصلاة، كما تفعلون الآن في خطبة الجمعة، تصبرون على الجلوس على الأرض للاستماع لخطيب الجمعة، هذا الصبر صبرٌ على الطاعة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا

[سورة طه: 132]



للصبر ثلاثة أنواع

الطاعة تحتاج صبراً، الإنسان أيها الأحياء عندما يطلق لنفسه العنان لا يحتاج صبراً، يفعل ما يحلو له، لكن عندما يقف بين يدي الله، أنت اليوم مسياً وفي كل يوم عندما تقف خلف الإمام في ثمان ركعات في ساعة كاملة فأنت صابر، تصبر على طاعة الله، بينما غيرك قد لا يصبر فيجلس في بيته ليتابع الشائشة، هذا الصبر صبرٌ على الطاعة، والنوع الثاني صبرٌ عن المعصية، فكلنا عندنا شهوات، تحركنا الشهوات، هكذا خلقنا الله تعالى، ولكن لا نتحرك إلا وفق منهج الله، فإذا عرضت شهوة لا ترضي الله من مال أو نساء أو مكانة في الأرض فإننا نصبر عنها، ونتركها إرضاءً لرَبِّنا جلّ جلاله، وهذا صبر عن المعصية، والنوع الثالث صبر على قضاء الله وقدره، فمن منا لم يصب بمرض؟ ومن منا لم يصب بفقد حبيب؟ ومن منا لم يصب بنقص من الأموال والأنفس والثمرات؟ لكننا نصبر على قضاء الله راضين محتسبين.

الصبر علامة المعرفة :



من يعرف بصبر

أيها الكرام؛ أيها الأحباب؛ الصبر علامة المعرفة، فمن يعرف بصبر، ومن لا يعرف لا يصبر، سأضرب لكم مثلاً يوضح هذه الحقيقة، اذهب أنت وابنتك الصغير إلى طبيب الأسنان لعلاج أسنانك، أقصد ابنتك الصغير جداً لأسنانه اللبينة مثلاً، اجلس أنت على كرسي الطبيب، سيفول لك ربما مثلاً لن أستطيع أن أؤدر الأسنان لعرض صحي عندك، ستحملني قليلاً، وسيكون هناك بعض الآلام، فلا بد أن تصبر، تتشبث بالكرسي، وتحمل الألم لأنك تعرف أن الطبيب إنما يفعل ما يفعل في أسنانك لصالحك، ومن أجل أن يزول عنك ألم أيام وأيام بالم دقائق، فأنت تصبر بسبب معرفتك، وعندما يجلس ابنتك الصغير على الكرسي نفسه وهو لا يدرك لماذا يفعل الطبيب ما يفعله في فمه، فيملاً الدنيا صراخاً، وقد يشتم الطبيب، وقد يتكلم بعبارات غير لائقة، فيضحك الطبيب، ويمسك به، ولا يابه له، إن هذا الطفل الصغير لم يصبر، لماذا لم يصبر؟ لأنه لا يعرف، فمن عرف صبر، فالإنسان المؤمن يعرف ربه، ويعرف حكمة ربه، ويعرف عظمة ربه، فإذا جاءه شيء في حياته بخلاف مراده فإنه يصبر، لأنه يعلم أن علم الله أعظم من علمه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

[سورة البقرة: 216]

فيصبر بسبب معرفته بحكمة ربه، ويعلم ربه، ويعدل ربه، فالصبر علامة المعرفة، ونحن عندما نصبر في رمضان، إنما نصبر لأننا نعرف الواحد الديان الذي أمر بالصيام، وإلا ما معنى أن يمتنع الإنسان عن المباحات في نهار رمضان؟

الحياة صبر فتمكين فشكر :

أيها الأخوة الكرام؛ سأل رجل الإمام الشافعي فقال: أيهما أفضل أن يُمكن الرجلُ فيشكر أم يبتلَى فيصبر؟ كما قلت لكم نحن بين شكر وصبر، هذه حالنا، فأيهما أفضل أن أمكن في الأرض، أن يكون لي ما أريد فأشكر، أم أن يبتليني الله بلاءً وامتحان في جميع الأنواع فأصبر؟ أيهما أفضل؟ انظروا إلى فقه الإمام الشافعي بماذا أجابه؟ هل قال: أن أمكن فتشكر، أم قال: أن تبتلَى فتصبر؟ الحقيقة أنه لا قال هذا ولا ذاك، لكنه قال له لا يُمكن حتى يبتلَى، هي سنة الله في الحياة، لا تنتظر تمكيناً قبل ابتلاء، فليس الموضوع أيهما أفضل، الموضوع أنت ما هو موقفك؟ فالحياة تسير وفق هذه السنة، يبتلَى الإنسان فيصبر فَيُمكن فيشكر هذه سنة الحياة، لن يكون هناك إنسان ممكن دائماً، ولا إنسان مبتلى دائماً، قال: لن يُمكن قبل أن يبتلَى، يأتي الامتحان من الله في مالك، في ولدك، في شيء مما تحبه نفسك فيبتليك الله فتصبر على الامتحان فيمكنك الله، فتشكر.

التقوى مع الصبر طريق النصر :

أيها الأخوة الكرام؛ إن التقوى مع الصبر طريق النصر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً

[سورة آل عمران: 121]

يكيدون كيداً، اليوم تشيب لهوله الولدان، يكيدون كيداً كما قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ

[سورة إبراهيم: 46]

لكن الله جعل الحل في أيدينا، نحن عندما قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا

[سورة آل عمران: 121]



الطاعة مع الصبر طريق النصر

لم يقل وإن تصبروا وتسكنوا وانتهى الأمر، قال: وتتقوا، لأن التقوى أي طاعة الله مع الصبر طريق النصر، لكن الصبر مع المعصية ليس بعده إلا القهر ثم القبر، صبر مع معصية قهراً وقبر، صبر مع تقوى نصر. كثير من المسلمين اليوم قد يقولون: نحن صابرون، لكن هل نصبر مع التقوى؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

[سورة آل عمران: 121]

ننابر على طاعة الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا

[سورة آل عمران: 121]

الإمامة موروثة عن الصبر واليقين :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ

[سورة السجدة: 24]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

[سورة آل عمران: 200]

بل إن معية الله تكون للصابرين، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

[سورة البقرة: 153]

بل إنه يوم القيامة يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، ما معنى بغير حساب، بالعرف الحديث هناك ورقة نقدية، شيك، دائماً يكون هناك مبلغ محدد، ألف، ألفا دينار، عشرة دنانير، الورق النقدية تحدد بمبلغ نقدي محدد، لكن لو أعطاك إنسان ورقة نقدية، شيك موقع مفتوح، ضع فيه الرقم الذي تريد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

[سورة الزمر: 10]

لأن الصبر كما قلت لكم علامة المعرفة، والله تعالى يكافئ الصابر بالإحسان.

سنن الله لا تُحابي أحداً :



علاقة الله مع خلقه منبئة على القوانين

أيها الأخوة الكرام؛ نحن عندما نتحدث عن شهر رمضان كما بدأت الخطبة نتحدث عن الصبر الذي يورث النصر، فالمسلمون عندما انتصروا في بدر انتصروا بصبرهم، لكن أيها الكرام سنن الله لا تحابي أحداً، ما معنى ذلك؟ ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، بمعنى أن الله عز وجل جعل العلاقة مع خلقه منبئة بالأعراف الحديثة على القوانين، أي ليس هناك تعامل مزاجي بين الله وعباده، أنت قد تكون في شركة مديرها يتعامل مع الموظفين تعاملًا مزاجيًا بغير ضوابط، فلا تعرف ما يرضيه، ولا ما يغضبه، فقد يقرب إليه بعض أقرائه حتى ولو كانوا مقصرين بالعمل، ويبعد عنه بعض الأباغد عنه ولو كانوا مخلصين بالعمل، هذا موجود في واقعنا، فتحنا كيف نتعامل معه، تقول: لا أعرف كيف أتعامل مع المدير، ليس عنده قواعد ثابتة، لكنك عندما تتعامل مع خالق السماوات والأرض فهو الذي يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

[سورة الحجرات: 13]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

[سورة المجادلة: 11]

والعمل الصالح يرفعه، فأنت ترتفع عند الله بعلمك وعملك وتقواك، وليس بين الله وعباده أي نسب إلا التقوى، ومن أبطأ به عمله لم يُسرعه به نسبه، إلى غير ذلك من النصوص المتناثرة التي تؤدي مجملها إلى أن التعامل مع الله يكون وفق القوانين والسنن.



في أحد عسا المسلمون أمراً في المعركة

أيها الكرام؛ سنن الله لا تحابي أحداً بهذا المعنى، فالمسلمون في بدر انتصروا، لكنهم في أحد لم ينتصروا، لماذا لم ينتصروا، لماذا لم ينتصر المسلمون في أحد؟ لأنهم عصوا أمراً من أوامر المعركة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمرهم ألا ينزلوا من على جبل الرماة، قال: وإن رأيتمونا نتخططنا الطير فلا تنزلوا، أي لنجدتنا لا تنزلوا، فلما ظنوا أن المعركة قد انتهت، والغنائم بدأت تجمع، فقالوا: ما معنى يقائنا في قمة الجبل وقد انتهت المعركة؟ فنزلوا متغافلين عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه المصيبة لعصيان أمر واحد، والأمر تكتيكي وليس أمراً تشريعياً، أي ليس صدقاً وكذباً وخيانة وأمانة، الأمر تكتيكي أي الأمر إداري في المعركة، ومع ذلك لم ينتصروا لأن سنن الله لا تحابي أحداً، فلن تحابي صحابة رسول الله صل الله عليه وسلم، ولن تحابي المسلمين اليوم من النهاية.

رمضان شهر الانتصارات انتصار الإنسان المسلم على نفسه :
أيها الكرام؛ عندما علق الله تعالى في قرآنه على هذه الواقعة ماذا قال؟ واقعة أحد، غزوة أحد، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ

[سورة آل عمران: 156]

ما وقع مصيبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَدُ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا

[سورة آل عمران: 156]

قد عودكم الله الفضل منه سابقاً فأصبتكم في بدر ضعف ما أصابكم في أحد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ فَدُ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا فُلْتُمْ أَنَّى هَذَا

[سورة آل عمران: 156]

كيف وقع هذا؟ الآن القرآن سيُجيبهم، لا تنتظر إلى أجوبة البشر، انظر إلى جواب القرآن، ماذا قال لهم؟ هل قال: هو من عند قريش؟ هل قال: هو من عند أعدائكم؟ هل قال: هو من تأمر الدول عليكم؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ

[سورة آل عمران: 156]

